مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ، وعلي آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين .

أما بعد ، فإن الحضارة الإسلامية ، حضارة عالمية . عالميتها أوضحها القرآن الكريم ، قال تعالي مخاطباً رسوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء :١٠٧] . وقال تعالي ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] . فكان النبي ﷺ خاتم الرسل . وبه صلي الله عليه وسلم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وهذه الخاصية الشديدة الأهمية . أخرجت حملة الرسالة ، صُحبة النبي ﷺ ليحققوا قوله تعالي ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران :١١٠]. وانطلقت الحضارة من ثوابت أرستها العقيدة الربانية الموحاة من الله تعالي ، ذات الأركان الثابتة والمقومات والخصائص الفاعلة ، فكان الكتاب الحكيم ، والسنة الصحيحة ، وهما الوحي المعصوم ، مصدرا هذه العقيدة الربانية التي جاءت لتحل وتفك الإشكالات التي آثارها الفلاسفة الأقدمون عن الحقيقة الإلهية ، والحقائق الكونية ، أو طبيعة الإنسان وحقيقته ، وعلاقة هذه الحقائق بعضها ببعض ، وكانت هذه الإشكالات مصدرها الفكر البشري المحض ، وشطحاته العقلية ، وتصوراته الفلسفية بإيعاز من عدوه الأزلي ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورا﴾ [الأنعام : ١١٢] .

فهذه العقيدة المنبثقة عن الوحى ـ المعصوم المستندة عليه ـ الذي ميز هذه العقيدة السلمية عن المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية المختلفة ، ومنحها خصائص لم تتوافر في عقيدة غيرها ، (ففيها الإحاطة والشمول ، والتوازن ، والقدرة علي الإجابة علي الأسئلة الكلية ، وتقديم التفسيرات وتحديد العلاقة بين الله تعالي والكون والإنسان)[1] .

---

(١) انظر:خصائص التصور الإسلامى ، لسيد قطب .

وبعد أن رسخت العقيدة في قلوب الرعيل الأول ، صُحبة رسول الله ﷺ ـ ولا عجب أن يمكث رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة قرابة الثلاثة عشرة عاماً، مُشَمِّراً عن ساعدي الجد ، يرسخ التوحيد ، الذي هو حجر الأساس في العقيدة، يرسخه في قلوب أصحابه حتي بات كالجبال الراسيات ـ فبعدها أصبح الناس في حاجة ضرورية إلي شريعة فوق حاجتهم إلي أى شيء آخر ؛ شريعة مبناها علي تعريف مواقع رِضَي الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية ، فمبناها علي الوحي المحض ؛ منطلقة من اعتقاد سليم ، يشعر المرء بالرضي﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة :١١٩] . فمنَّ الله عليهم بشرعة امتازت بتحقيق مصالح الخلق ودرء المفاسد عنهم ، وبيان العلل والأسباب والحِكَم والغايات الكامنة ، تمكن بها المسلم من العيش باستمرار تحت مظلتها ، وتنظيم شؤون حياته وفقاً لتوجيهات الشارع الحكيم﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة :٣] . فكانت إشارة البدء إلي نسج الحضارة الإسلامية وبناء العمران البشري – بمعناه المادي والمعنوي – علي مِنوال الحياة فكان ؛ مؤداها : إخراج الناس من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة .

فكان أتباع النبي ﷺ هم أهل البصيرة الذين أمسكوا بطرف الخيط لنسج الحضارة الإسلامية ، فقد بلَّغهم الرسول ﷺ البلاغ المبين ، وأوضح الحجة للمستبصرين ، وهم علي أثره مهتدون . وخرجوا بكتابهم إلي حوض الحضارات القديمة ، وهناك كان المحك ، (ولم يكن خروجهم ذاتياً من عند أنفسهم ، وما كان الخروج من طبيعتهم ؟ لكن الله تعالي أخرجهم في إطار دفع إلهي – لا في إطار استعلاء قومي ذاتي، وكانت علاقتهم بالقرآن والرسالة التي اشتمل عليها ، علاقة تكليف وتبين وإيمان لا علاقة إنشاء وتوليد من ذواتهم)[1] وبخروجهم ذابت كل الحضارات أمام الأنساق المعرفية للحضارة الجديدة، ولم يمض وقت طويل علي بدء الدعوة وتبليغ الرسالة حتي غمر الإسلام بنوره النصف الجنوبي من العالم – المعروف آنذاك – أي من جنوب الصين شرقاً إلي جنوب أوروبا غرباً ، وقد استوعب الشعوب بمنظومته المعرفية وهيمنة خصائص وثقافة الحضارة الإسلامية .

---

(١) انظر : أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة ، للدكتور طه جابر العلوانى .

وانهار الكيان الرومي في الشام ومصر ، وتحللت القومية الفارسية، ليصبح قلب العالم المعمور كله مركزاً للحضارة الإسلامية ، ومحط إشعاع يخرج منه ليضيء جنبات العالم . والإشعاعُ عرضٌ ، فكان لابد له من ذاتٍ؛ يخرج منه شعاع العلم والفكر ؛ فكان علماء المسلمين ومفكريهم ذواتاً لإشعاع الحضارة الإسلامية .

فصاحب هذا الكتاب (**كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة**) هو : الإمام العلامة ، مؤسس دولة الموحدين ، تلميذ حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ؛ جمال الدين محمد بن على بن تومرت الأندلسي أحد هذه الذوات التي تولدت في بوتقة الحضارة الإسلامية ، وكتابه (كنز العلوم) رؤية معرفية ، ونموذج تراثى يثير الفكر ، ففيه يطبق الرؤية المعرفية والمنهج الذي رشفه من الحضارة الإسلامية وفكرها . فمنهجه تجسيد للربط بين القراءتين . قراءة الوحي المسطور ، وقراءة الكون المنظور (فالقراءتان في الوحي والكون فريضتان؛ لأنهما أمران إلهيان والجمع بينهما ضروري ، إذ بدونه يقع الخلل . وإذا حدث فصام بين القراءتين ، فإن المناهج المعرفية البشرية تقود إلي نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي في القراءة ، أي بقراءة الوحي في معزل عن فهم الواقع ، فإنهم يسقطون الجانب الموضوعي وعناصره من حسابهم ، فيتحولون بالدين إلي لاهوت وكهنوت يستلب الإنسان والكون ، وينفي الأسباب ، وقوانين الحركة وصيرورتها ، وكافة السنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية ؛ التي يتفاعل معها الإنسان . وبذلك ينتهي أصحاب هذه القراءة إلي : فكر سكوني جامد ، قد يُحسَب خطأ علي الدين حين لا يلتفت إلي محدوديته وقصوره . والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده ، ويركزون علي الجانب الموضوعي في إطار القراءة الثانية ، أي القراءة المادية للكون ؛ فإنهم ينفون البعد الغيبي الفاعلي في الوجود وحركته وينتهون تدريجياً إلي الفكر الوضعي في المعرفة الذي يؤثر علي النسق الحضاري)[1]

ولم يكن صاحبنا الشيخ محمد بن تومرت أول من بحث وكتب في هذا

---

(١) انظر: الجمع بين القراءتين ، للدكتور طه جابر العلوانى .

الموضوع فقد سبقه الحارث المحاسبى فى كتابه (العقل وفهم القرآن) وكان على أثره فخر الدين الرازى فى تفسيره (مفاتيح الغيب) .

والآن فى عصرنا هذا ، نسمع صوتاً من بعيد يدعونا إلى إعادة هذا النسق وهذه الرؤية المعرفية وطرحها كبديل للمناهج التى سقطت ، وهو صوت عالٍ له صداه ، صوت شيخ المفكرين ، الأستاذ الدكتور : طه جابر العلوانى ، عسى الله أن ينفع به الأمة ، ويكون به النقلة الفكرية المنتظرة ، التى تحل الأزمة التى طالت وعزب عن كثير حلها ، والله الموفق.

تحقيق المخطوط :

عندما عزمت القصد على تحقيق كتاب **(كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة)** للإمام العلامة : جمال الدين محمد بن على بن تومرت الأندلسى -رحمه الله- شرعت فى البحث عن مخطوط لهذا الكتاب ، وكان مقصدى دار الكتب المصرية ، وهناك عثرت على ثمانى مخطوطات لهذا الكتاب ، كُتبت فى عصور مختلفة، ثم تصفحت هذه المخطوطات ، فكان منها الناقص وفى البعض الآخر بياض، وآثار تآكل بفعل الزمن . وانتقيت منها أفضل المخطوطات فكانت أربعة . وبالفعل قمت بتصوير هذه المخطوطات ، ثم عكفت أنظر وأقلب الصفحات ، واخترت إحداهم لنسخها ، والثلاثة الباقين أرجع إليهم فى حالة تعثرى فى قراءة لفظة ، أو إشكال فى فهم عبارة ، وقمت بالفعل بنسخ المخطوط ، وساعدنى فى نسخه ومقابلة النسخ بعضها ببعض ، فريق عمل ؛ كم عان معى مهمة إخراج هذا الكتاب بصورة نحسبها -إن شاء الله- طيبة مرضية ؛ بذلنا فيها جهداً كبيراً ولم نبخل بالوقت أو الجهد، حتى كانت الصورة الماثلة أمامكم ، والله الموفق .

وصف المخطوطات :

- **المخطوط الأول** ، والذى تم منه النسخ ؛ ورمزنا له (أ) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [حكمة وفلسفة . رقم (٤٤٣)، ميكروفيلم (٤٥٦٨٣)] . عدد الأوراق : (٧٤) ورقة . من القطع الكبير ، عدد

الأسطر : (٢٩) سطراً ، نوع الخط : نسخ عادى ، بخط الناسخ : حسن الحلو الشافعى الشاذلى ، وكان الفراغ من نسخه (١٢٥٧) هـ .

- **المخطوط الثانى** ؛ ورمزنا له (ع) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [حكمة وفلسفة . رقم (٤١١)، ميكرو فيلم (٤٤٢٧٣)] .عدد الأوراق : (١٢٤) ورقة . من القطع المتوسط ، عدد الأسطر (١٦) سطراً ، نوع الخط : خط يمنى جميل ، بخط الناسخ : إصحاح بن على العبدى ، ولم يذكر وقت الفراغ من نسخه .

- **المخطوط الثالث** ؛ ورمزنا له (ك) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [طبيعة وكيمياء . رقم (١٢٤) ، ميكروفيلم (٣١٦٦٤)] . عدد الأوراق : (١٦٣) لوحة . من القطع الكبير ، عدد الأسطر (٢١) سطراً ، نوع الخط : نسخ ، بخط الناسخ : مصطفى بن محمد الفقى المعتمداوى الصاوى المالكى ، وكان الفراغ من نسخه سنة (١٢٩٥) هـ .

- **المخطوط الرابع** ؛ ورمزنا له (م) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [معارف طلعت . رقم (١٨٨) ، ميكروفيلم (٢٥٧٥٨)] . عدد الأوراق : (٦٥) ورقة ، وهو ناقص بعض الورقات من منتصفه . وهو من القطع المتوسط ، عدد الأسطر (١٧) سطراً ، نوع الخط : رقعة ، بخط الناسخ : عبده محمد سليمان الحنفى الشاذلى ، وكان الفراغ من نسخه سنة (١٣١٧) هـ .

عملنا فى هذا الكتاب :

١- ضبط النص وتقويم العبارة ، وتصحيح التحريف والتصحيف ، وملاحظة السقط من الكلمات .
٢- عزو الآيات والأشعار . وتراجم الأعلام .
٣- تخريج الأحاديث والحكم عليها، استناداً لآراء العلماء أصحاب هذا الفن .
٤- الفهارس اللازمة للكتاب المعينة على البحث فيه .

٤- الفهارس اللازمة للكتاب المعينة على البحث فيه .

وختاماً ، نسأل الله أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل ؛ ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه وإخراجه بهذا الثوب القشيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

القاهرة

مساء يوم السبت

غرة ذى القعدة ، لسنة (١٤١٨) هـ

الموافق آخر فبراير لسنة (١٩٩٨) م

أيمن البحيرى

obeikandl.com